مجـــلة عصـــور المجلد 19/ العدد الثاني ديسمبر 2020
EISSN 6278-2600 / ISSN 1112- 4237 الإيداع القانوني 2002- 464 Depot légal

الخرافات شكل من أشكال الانحراف الاجتماعي ووسيلة للاستغلال السياسي في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط

The superstition as a form of social aberrations and political exploitation in the Islamic Maghreb during medieval age

د. عبد الكريم طهير *
جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف/ الجزائر.
a.tahir@univ-chlef.dz

تاريخ الإرسال: 2020/02/01 تاريخ المراجعة: 2020/02/20 تاريخ القبول: 2020/04/07

ملخص:

يتناول هذا المقال موضوع بحث حول الخرافات كشكل من أشكال الانحراف الاجتماعي ووسيلة للاستغلال السياسي في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط، ويهدف هذا البحث إلى الوقوف عند دراسة الخرافات التي سادت المجتمع ببلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، ومحاولة ربطها بوضعية المجتمع الذي تبنى الخرافة كمخرج

*د. عبد الكريم طهير، جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف/ الجزائر

لأزماته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهو ما جعله يسقط في فخ الاستغلال السياسي من قبل بعض الدعاة، الذين استطاعوا بفضل حنكتهم أن يستغلوا الخرافة كأداة دعائية من أجل تحقيق مشروعهم الديني ومطامحهم السياسية، فكان من أهم النتائج المتوصل إليها أنّ المجتمع ببلاد المغرب الإسلامي قد سيطرت عليه الخرافة بشكل جعلنا نجزم القول أنّ المجتمع بالمغرب الإسلامي كان يعيش شكلا من أشكال الانحراف الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الخرافات؛ الانحراف الاجتماعي؛ الاستغلال السياسي؛ المغرب الاسلامي؛ العصر الوسيط.

Abstract :

This article is studies a topic of research on superstition as a form of social deviation and a mean of political exploitation in the Islamic Maghreb during the medieval age. This research aims to study the superstition that prevailed in in the Islamic Maghreb society, and trying to link it to the situation of society that adopted superstition as a way out of its social and economic and political crisises, which made him fall into the trap of political exploitation by some preachers, who managed to use superstition as a propaganda tool to further their religious project and political aspirations, and in the conclusion one of important findings was that superstition dominated society in the Islamic Maghreb, so we can say that he was suffering from social aberration.

Keywords: Superstition; political exploitation; social deviation; Islamic Maghreb; Medieval age.

مقدمة:

بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب تبنى سكان بلاد المغرب العقيدة الإسلامية كعقيدة دينية، بل أنّهم سارعوا للدفاع عن العقيدة الصحيحة التي تتماشى مع فهمهم البسيط للدين الإسلامي لذلك كان سهلا جدّا أن ينتشر بينهم المذهب المالكي مثلا، غير أنّ ذلك لم يمنع من انتشار معتقدات شعبية تتنافى مع الدين الإسلامي الحنيف، فكانوا يؤمنون إيمانا شديدا بالخرافات التي احتلت حيزا كبيرا وسط المجتمعات المغربية خاصة تلك التي يسودها الجهل، وارتبطت هذه الخرافات بالفترة البربرية، كما أنّها جاءت بعد

ذلك كإفراز لظروف الحياة العامّة وهاجس الأمراض والموت، وغيرها، وكانت هذه الخرافات تصدق بشكل منقطع النظير، لذلك كان لها أثارها المختلفة في ميادين الحياة المختلفة بل كانت الخرافات وسيلة دعائية مهمّة للوصول إلى السلطة، فهل يمن اعتبارها شكلا من أشكال الانحراف الاجتماعي ؟

1 / تعريف الخرافة:

التعريف اللغوي:

الخَرْفُ بالتحريك فساد العقل من الكبر وقد خَرف الرجل بالكسر يَخْرَفُ خِرَفًا فهو خَرْفٌ: فسد عقله من الكبر، والأنثى خَرِفه وأخْرفه الهرمُ[1].

التعريف الاصطلاحي:

تعرف الخرافة اصطلاحا على أنّها "الحديث المستملح من الكذب[2]، ويقال حديث خرافة و "ذكر الكلبي في قولهم حديث خرافة أن خرافة من بني عذرة أم من جهينة اختطفه الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس فكذبوه فجرى على ألسن الناس"[3].

فالخرافة إذن حديث لا يستند إلى منطق العقل البشري، ويخالف المعقول بل يقرب للكذب، إن لم يكن كذبا حقا.

2/ أنواع الخرافات ببلاد المغرب الإسلامي

انتشر بين سكان بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط خرافات كثيرة، فكانوا يعتقدون بالكهانة، والعرافة ويصدقون ممارسيها، وهذين الأخيرين هما من أنفذهما في نفوسهم، لأنه حسب اعتقادهم رفاق الكهّان، والعرّافين من الجنّ الذين يعلوا بعضهم بعضا حتّى يتقاربوا إلى السّماء فيسترقوا السمع ممّا يتحدث به الناس[4]،

---

1 - **ابن منظور**، لسان العرب، المجلد العاشر، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1990م، ص62.

2 - **ابن منظور**، المصدر السابق، ص65.

3 - **ابن منظور**، المصدر السابق، ص65-66.

4 - **عبد الله عفيفي**، المرأة العربية في جاهليتها و إسلامها، دار الرائد العربي، ط2، ج، بيروت، لبنان، 1982م، ص 102-103.

والكهانة والعرافة كلمتان تكادان تتقاربان من حيث المفهوم إلاّ أنّ هناك فرق لغوي بينهما، فالكهانة هي علم إدراك الماضي، والعرافة هي علم إدراك المستقبل، وقد عرّفهما ابن خلدون فقال أنّ الكهانة من خواص النفس الإنسانية التي تحمل عن طريق الانسلاخ من عالم البشرية إلى الملكة الفطرية في لحظة أقرب إلى لمح البصر، بينما أكدّ أنّ العرافين يأخذون بالظن والتّخمين بناء على ما يتوهمونه ويدعون معرفة الغيب "وليس منه على الحقيقة"[1]. وقد مارس الكهانة والعرافة في بلاد المغرب الإسلامي كل من الرجال والنساء على السواء، إلاّ أنّ معظم الناس يرى أن النساء فيها أعمق وأنّ أخبارهن أصدق ورفاقهن من الجن أدّق وأوثق[2].

وهناك ثلاثة أصناف من العرّافين، يتألف الصنف الأوّل من الذين يتعاطون خطّ الرمل فيرسمون عليه أشكالا ويؤدي لهم عن كل رسم بحسب المواد المتوفرة للشخص وفقا للعادة[3]، ويستطيع العامل به أن يخبر بأشياء تحصل في المستقبل، فيكون الأمر كما كان أو شبيها، وهذا الأمر ونحوه يجري على الجهلة من الناس[4]، أمّا الصنف الثّاني من العرّافين فهم الذين يجعلون الماء على قدر لماع ويرمون فيه قطرة زيت فيصير شفافا، ويزعم العرّافون أنّهم يرون فيه كما يرون في المرآة جماعة من الشياطين القادمين كأنهم كتائب ويسلك بعضهم البحر والبعض الأخر البّر، وعندما يرى العرّاف أنّهم قد استراحوا يطلب منهم ما يوّد معرفته فيجيبونه بإشارات باليد أو بالعين، والصنف الثالث من العرّافين هنّ نساء يوهمن العامّة أنّهن يرتبطن بصداقة مع شياطين من أنواع مختلفة يسمين بعضهم بالشياطين الحمر وبعضهم بالشياطين

1- **عبد الرحمن ابن خلدون**، مقدمة ابن خلدون، ضبط: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001، ص127.

2- عبد الله عفيفي، المرجع السابق، ص 102-103.

3- حسن الوزان، وصف افريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، الشركة المغربية لدور النشر، الرباط، 1980م، ص 262.

4 - القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ، المجتمع، الذهنيات، الأولياء ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د ت، ص117.

البيض أو السود، وعندما يطلب منهن أن يتنبأن بشيء من الأشياء يتطيبن بعطور مختلفة الروائح فيدخل فيهن الشيطان الذي دعونه حسب زعمهن ويغيرن أصواتهن ليوهمن أنّه المتكلم بفمهن، والشخص الذي أتى لشيء يريد أن يعرفه يطلب ذلك من الروحاني فإذا حصل على جواب ترك هدية للشيطان، وإذا كانت امرأة جميلة من بين اللّواتي أتين لاستشارتهن عشقها كما يعشق شاب فتاة وطلب منها – وكان الشيطان نفسه هو الذي يتكلم- قبلات غرامية في مقابل الثمن وتقبل المرأة ظنّا منها أنّها ترضي الروحاني، لكن الناس الذين يتمتعون بالاستقامة يسمّون هؤلاء النسوة مساحقات لأنّهن يمارسن تلك العادة الشنيعة[1].

وهناك صنف آخر من العرّافين يدعون العزّامين أي السحرة، يعتبرون قادرين على إنقاذ من اعتراهم مس من الشيطان ويكون التعزيم بالطريقة التالية: يكتبون بعض الحروف ثم يرسمون دوائر فوق تنور أو غيره ويخطون على يد المجنون أو جبينه بعض الإشارات، ويعطرونه بمختلف العطور، وبعد ذلك يشرع الساحر في الرقية ويسأل الروحاني كيف دخل الجسم، من أين أتى، ومن هو، وما اسمه، ويأمره في الأخير بالذهاب[2].

كما شاعت في بلاد المغرب ظاهرة السحر، وهي ظاهرة تعبر عن خفايا المجتمع، وبشكل خاص القطاع المكبوت في الفكر والسلوك، الذي يحاول طرح بديل ضروري للمحافظة على التوازن الاقتصادي والاستقرار مع الحقل الاجتماعي، وقد ربط ابن خلدون ظاهرة السحر بالعجز عن المعاش الطبيعي، فيطالبه بالوجه المنحرف[3]، ولنا في تاريخ المغرب الإسلامي أمثلة كثيرة، منها وصف زينب النفزاوية زوجة يوسف بن تاشفين بالساحرة، كما أنّ منطقة غمارة بالمغرب الأقصى عرفت السحر لزمن طويل[4]. ويذكر أنّ

1- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 263.

2- حسن الوزان، المصدر نفسه، ج1، ص 264.

3- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص490.

4- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط ومراجعة: خليل شحادة، سهيل زكار، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000م ، ص288.

صومعة قصبة مراكش كانت تعلوها تفاحات من ذهب حاول بعض السلاطين المتعاقبين على حكم المغرب إزالتها لحاجتهم إلى المال لكن كانت تحدث لهم كل مرّة حادثة غريبة تجبرهم على تركها، حتى شاع لدى العامّة أنّ "من ركز تلك التفاحات قرأ عليها عزائم سحرية ألزمت بعض الأرواح برصدها على الدوام"[1].

وكانت النساء الساحرات أكثر شيوعا من السحرة، وأكثر عداد من العرافين، فمن النساء من ينفثن العقد، وتلك إحدى قواعد السحر، وذلك أن تأتي المرأة بخيط أو وتر وتقرأ عليه شيئا مبهم من القول، وبينما هي تقرأ تنفث في الخيط، وتعقد عقدة منه وتدفنه في معطن من الأرض فلا تزال الجن موكلة بأذى المسحور به مادام الخيط في موطنه، وأولئك هنّ اللّواتي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ منهن[2] فقال: "ومن شر النفاثات في العقد" *. وكانت المرأة تتخيل في بعض الحجر مآثر وأسرار تكشف عنها العزائم والرقى، فكان من حرائزهن الهنمة، وهي كرزة يجتلب بها النساء قلوب أزواجهن وهن يقلن عليها" أخذته بالهنمة، بالليل زوج وبالنهار أمة"[3].

وكان لأهل المغرب الإسلامي معرفة بعلم الكتف، حيث كانت قبيلة زناتة على علم ومعرفة بارعة وحذق وكياسة بهذا العلم[4]، ويمكن أن نقدم تعريفا لهذا النوع من العرافة من خلال ما ذكره المؤرخ رشيد بورويبة بخصوص مناد بن منقوش، حيث رأى هذا الأخير في أحد الأيام غريبا في المسجد فضيّفه وأطعمه، وبعد ما انتهى الضيف من طعامه أخذ يتأمل عظم كتف الكبش فقال له مناد : لماذا تنظر إليّ ؟ قال الرجل : هل لديك زوجة حامل ؟ قال مناد نعم، فقال، هل لديك أبناء معها ؟ فقال : لا، ولكن عندي أبناء

1- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص103-104.

2- عبد الله عفيفي، المرجع السابق، ص139.

* سورة الفلق، الآية "4".

3- عبد الله عفيفي، المرجع السابق، ص 103.

4- ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح:ج-س-كولان وأ-ليفي بروفنسال، ج4، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1980، ص 200.

من زوجات أخريات، فقال له الرجل : قدمهن لي فقدمهن له، فتأمل كلّ واحدة منهن ثم قال : اعتني بزوجتك الحامل لأنّها تلد لك إبنا يملك المغرب وأبناءه من بعده[1].

ويبدوا أنّ سكان المغرب كانوا يعتقدون أيضا بالطالع، فيدعوهم إلى التشاؤم أو التفاؤل ومن ذلك ما قاله الشاعر سعيد بن واشكل التيهرتي في ذم مدينة تنس :

هُوَ الْدَهْرُ وَ السِيَافُ وَ المَاءُ حَاكِمُ وَطَالِعُهَا المَنْحُوسُ صَمْصَامَةُ الدَهْرِ.

كما كانت الخرافات الغيبية تحتل حيزا كبيرا وسط المجتمعات المغربية خاصة تلك التي يسودها الجهل، فهي في حين تقف أمام ظاهرة عاجزة عن تفسيرها علميا تلجأ لردها ونسبتها إلى الغيبيات، ومن ذلك ما روي أن الشيخ أبا يعقوب يوسف التفريسي – من الأولياء الكبار والزهاد – يقرئ الإنس والجن بمسجده والنّاس يسمعون صوت الجان فبينما مجلسه ذات يوم غاص بالطلبة لقراءة العلم إذ دخل من بابه حنش عظيم، ففر الحاضرون منه فقال الشيخ دعوه فقرب منه وناوله من فيه براءة، فاستدعى الشيخ القلم والدواة وكتب بأسفل البراءة وردها إليه ثم انصرف خارجا، فقال الشيخ إنّ هذا من إخوانكم الجان بعثه إلينا أصحابه من العراق بهذا السؤال فأجبناه[2]، ومنها ما روي عن ظهور نيران الجن في صحراء صنهاجة قرب فجيج، ويسمع عزفهم وغناؤهم وهم يختطفون النّاس ويحملونهم معهم، وربما يفلت الإنس من بينهم ويرجع إلى أهله[3].

وكان النّاس مولعون بذلك الحوار الذي كان مستمرا مع الجن وكأنّه الوحيد والسبب في كلّ ما حدث لهم من مشاكل وأزمات، وقد زار جني أحد القيراونيين لأنّ زوجته

1- رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 8.

2- يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق: تح: عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1985م، ص107.

3- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م، ص 312.

ذهبت إلى فرح وهي لابسة المعصفرات فلامه لأنّه يحبسها في مسكنهم، فقال له: ومن أين لك عندنا مسكن يا شيطان ؟ فقال له: ولا تدري ما فلت لك من ديك أفرق، فلمّا قال هذا أدركني منه شيء فقلت : هذا حرز في دجانة، إذ كان هذا الرجل يتخذ ديوكا فيجدهم أمواتا ، لأنّ الجني كان يخنقهم والديك الأفرق يطرد الشياطين لهذا كان يخنقهم[1].

ويقول الجزري بينما أنا مع سحنون إذا أتاه رجل فسأله عن بعض المسائل ولمّا ولى تبعته حتى دخل المقبرة، ولمّا خفت فواته طلبت منه التوقف، فقال ماذا تريد، أنا رجل من الجن كنت أغش مجلس أبي سعيد أساله عن مسائل فقد احترمتني المسائل ثم غاب عني، فحضرني الخروج إلى الحج فبينما أنا في الطوّاف إذا جذبت من ورائي بثوبي، فالتفت فإذا أنا بالجني فسلم علي، وأخبرني بخبر من خلفت من أهلي ثم قال: "أنّي رأيت الطلبة يختلفون إلى الشيخ"، فمضيت إليه فلمّا أشرفنا على الجماعة جذبني الجني بثوبي وقد تغير لونه، وقال لي: "هذا إبليس لو رآني لقتلني"، فقلت له ما العمل؟ قال: ارجع فالطمه للرأس، وقل له يا لعين يا ملعون أي شيء أتى بك هاهنا ؟ ففعلت، فاضمحل حتى صار كالدخان، وأخبرت الطلبة بالقصة فعجبوا وحرقوا ما كتبوه[2].

ويروي البكري عن بني ورسيفان أنّهم أرادوا مباشرة الحرب فتقربوا بذبح بقرة سوداء للشماريخ، وهم عندهم الشياطين، ويقولون هذا ذبح للشماريخ، ويفتحون أوعية الطعام لها، فإذا غدوا للقتال توقفوا حتى يروا الزوابع، فيحملوا على عدوهم ظنّا منهم أن الشماريخ جاءت لنصرتهم، وقد سيطرت هذه الشماريخ على حياتهم اليومية، حتّى أنّهم إذا نزل عليهم ضيف جعلوا من طعامه للشماريخ ويزعمون أنّهم يأكلون ما يوضع لهم، ويضيف البكري من الخرافات ما يروي عن وجود عين ماء في مرسى سبيبة بين بجاية وجيجل تعرف بعين الأوقات، إذ أنّ ماءها يجري خمس مرّات في اليوم وفي أوقات الصلوات، ويبدوا أن اعتقادهم هذا بالخرافات قد ولد فيهم خرافة جديدة فراحوا

1- دلال لواتي، عامّة القيروان في العصر الأغلبي"184-296هـ/800-908م"، رسالة ماجستير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2001م، ص 284.

2- الدّباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تعليق: أبو الفضل القاسم عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضي، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1972م، ج2، ص 100-101.

يعلقون التمائم من عين الحسد، وقد كثر استعمالها بين سكان المغرب حتى لا يكاد يخلو عنق أحدهم من تميمة، ناهيك عما يلصق برجال الدين والصالحين من كرامات ويعزى إليهم من خوارق[1]، ومن كرامات هؤلاء أنّه أصاب النّاس بصفاقس سبع سنين قحطا فاتوا أبو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي يستسقي لهم فقال لهم :" تأتون غدا بنسائكم وصبيانكم وبهائكم، وتبيتون الصيام اللّيلة فإذا كان غدا قفوا بين يديه وتضرعوا إليه، فإنّه يرق لحالكم"، ففعلوا ذلك، وخرج أبو خارجة فصلى بهم الظهر ثم بسط يديه وقال:" أنت مولانا مالنا غيرك ولا سواك ... وقد قامت آمالنا بك وقد جثونا بين يديك بهائمنا جائعة، وأرضنا سوداء يابسة وقلوبنا خائفة وبيوتنا فارغة وسماؤك عامرة، وخزائنك واسعة، فاسقنا سقية نافعة تجدد الإيمان في قلوبنا ولا نبرح بين يدي كريم حتى يسقينا، وسيلتنا إليك نبينا الذي جعلته رحمة لنا، قال: فإذا بريح بيضاء بدت لهم، ثم اندفعت السماء بالغيث فمضى أبوكارجة يرفع ثيابه ويقول بهذا يعرف الكريم، هذا فعلك فيمن قصدك وبهذا تعرف وتوصف[2].

ومن كرامات أبو السرى واصل العابد الخمي، أتت مرة مراكب الروم عند قصره فأردوا أخذ الماء فمنعهم المسلمون فلما أيأسوا بسطوا الأنطاع واستسقوا فسقوا فبلغ ذلك واصلا فاشتد عليه وقال: اللّهم أغرقهم واجعلهم نفلا للمسلمين فارسل الله عليهم للوقت ريحا شديدة فكسرت مراكبهم ورمت بهم إلى البر فغنمهم المسلمون[3].

وهناك من الناس من يعتقدون اعتقادا جازما أنّ بإمكان الإنسان أن يكتسب طبيعة الملائكة بالأعمال الصالحة والصيام والورع، ويزعمون أنّهم يطهرون الروح والقلب بدرجة تمنعهم من اقتراف الذنوب حتى ولو أرادوا ذلك، لكن لوصول إلى تلك الغاية يجب سلوك لمسنين درجة في طريق القوم ويبدأ هؤلاء بصيام عجيب يستحيل عد أيامه، ثم ينغمسون في كل ملذات الحياة .

1- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 313.

2 - القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ص 82.

3- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 167.

ويؤمن أصحاب هذه المعتقدات بأنّ الأفلاك العلوية والسماوات والكواكب السيارة وسائر النجوم الله واحد، وأنّ أي عقيدة لا يمكن أن تكون على ضلال لأنّ جميع الخلق في نفوسهم على فطرة تحملهم على عبادة من يستحق أن يعبد، ويعتقدون أن معرفة الله تتركز في شخص واحد يسمونه القطب، اختاره الله، وتقضي قاعدة هذا الطريق أن يسبح كل واحد من هؤلاء القوم في الأرض مستترا عن الناس متظاهرا بأنّه مجنون أو عاص مغرق في الآثام، وبهذه الدّعوى يهيم الكثير من الدّجالين على وجوههم وهم عراة مكشوفي العورة، وهم على درجة منحطة من عدم الاعتدال والاحترام بحيث يضاجعون النساء أحيانا في الساحات العمومية كما تفعل البهائم[1].

وصارت الصورة المرسومة في ذهنية أهل المغرب عن الشيخ "الولي الصالح" أنّه هو الشخصية القادرة على كل شيء بفعل جذب البركة الإلهية وسلوكه في هذا الطريق الصوفي لأنّه بلغ عالم الرؤية والكشف عن الحقائق الإلهية ومن هنا كان على المريد أن يسلم نفسه إلى الشيخ، وأن يكون بين يديه كالجثة بين يدي غاسل الأموات.

كما كانت لهؤلاء المتصوفين والمريدين عادات خاصة فإذا أتتهم وليمة بدأوا بتلاوة الأذكار وترتيل الأناشيد، وبعد تناول الطعام يأخذ المسنون منهم في تمزيق ثيابهم، وإذا سقط أحدهم أثناء الرقص أوقفه حالا على رجليه أحد الشباب المتصوفين فقبله العجوز في الغالب قبلة شهوانية ومن ثم جاء المثل السائر على جميع الألسنة بفاس "مثل مأدبة النساك التي حولتنا من عشرين إلى عشرة"، ومعنى ذلك أن كلّ مريد حديث يعرف ما ينتظره ليلا بعد الرقص .

وهناك مذهب آخر يتبعه بعض من يمكن تسميتهم بأصحاب أسرار الحروف وهم قوم لهم عادات خاصة بهم، فهم يصومون صوما غريبا ولا يأكلون لحم أي حيوان يتناولون أطعمة خاصة، ويلبسون ألبسة متميزة في كل ساعة من ساعات النهار والليل، ويدعون دعوات معينة بحسب الأيام والشهور مبنية على ترتيب عددي ومن عاداتهم أن

1- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 271.

يحملوا معهم تمائم ملونة نقشت بداخلها حروف وأرقام، يزعمون أنهم بعد ذلك تتجلى لهم أرواح مساعدة تخاطبهم وتمدهم بمعرفة شمولية لأمور هذا الكون[1].

3/عوامل انتشار الخرافات ببلاد المغرب

ترتبط الخرافات بالواقع الاجتماعي والاقتصادي، والنسيج الثقافي والسياسي الذي أفرزها، فالخرافات التي انتشرت بالمغرب الإسلامي الوسيط من حيث كونها ظواهر اجتماعية، تعد تعبيرا عن موقف، ووسائل لتجاوز المشاكل والأزمات التي زخر بها المجتمع خلال هذه الفترة، فالسحر والكهانة، والتطلع للمستقبل، والإنسان الخارق، وإفرازات الطبيعة، وغيرها هي محاولات من بني البشر ليكونوا أسيادا على الطبيعة، بتذليل معيقاتها، عن طريق تخطي المألوف والشائع، لذلك فإنّ عوامل متعددة أسهمت في انتشار الخرافات بالمغرب الاسلامي يمكن إجمالها فيما يلي:

أ) عوامل اقتصادية

يرتبط ظهور الخرافة وانتشارها من حيث أنّها ظاهرة غيبية بالواقع الاقتصادي ارتباطا وثيقا، إذ جاء في فتوى ابن رشد من خلال نوازله على انتشار خط الرمل "**أنّ معرفة ما يستتر الناس به من أسرارهم، وما ينطوون عليه من أخبارهم وما يحدثه الله من غلاء الأسعار ورخصها، ونزول المطر ووقع القتل وحلول الفتن وارتفاعهما، وغير ذلك من المغيبات إبطال لدلائل النبوات وتكذيب للآيات المنزلات**"[2] لذلك اعتبرها من "**حبائل الشيطان**"[3]، فحسب هذا النّص من القرن الهجري الهجري أنّ النّاس كانت تتطلع لمعرفة الغيبيات خاصة ما يرتبط منها بمعاشهم فسقوط المطر كان عامل أساسي يبنى عليه الاقتصاد الزراعي لذلك فإنّه قلة الأمطار يدفع الناس إلى الحيرة وإلى التخوف من حدوث أزمة اقتصادية ستؤدي لا محال إلى غلاء الأسعار أو رخصها أو انتشار

---

1 - حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 272.

2 - **ابن رشد**، فتاوي ابن رشد، تح: المختار بن طاهر التليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1407ه/1987م، ص361، **البرزلي**، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، ص251.

3 - **ابن رشد**، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المجاعات أو الجفاف، وما ينعكس عن ذلك من آثار مدمرة كوقوع الحروب وسقوط القتلى، وظهور للفتن، وهي وظواهر برزت في أوقات متفرقة من تاريخ المغرب الإسلامي ممّا يعكس ارتباط الفكر الغيبي بالأزمة الاقتصادية[1] في مخيلة أهل المغرب الاسلامي خلال القرون الوسطى.

وبسبب ارتباط النّاس بالظروف الطّبيعية التي لها علاقة بمعاشهم الحياتي فقد تأسس مخيال اجتماعي يعتمد على الخرافة أكثر منه على العقل، فقسموا الظواهر الطبيعية حسب زمن حدوثها، سواء خلال شهر كامل، أو خلال بضعة أيام أو حتى في يوم واحد، ففي حديثهم عن الرعد فإنّهم ربطوا حدوثه إمّا بشدة العيش أو رغده، ففسروا دويه في النصف الأوّل من شهر يناير بأنّ السنة الآتية لا خير فيها، وربطوا دويه في اليوم الثالث من شهر أكتوبر وفي النصف الأوّل من فبراير بغلاء الأسعار، وبالفتنة في بداية فبراير وأبريل وماي، ويعبر دويه كذلك في العشرين من سبتمبر عن كثرة الجراد، وقلة الغلة، أمّا دوي الرعد في الأوقات الأخرى فإنّ فيها خير كثير وبركة، وكثرة للأمطار والخصب والغلّة، وفرح للنّاس وارتفاع الضر عنهم، كما هو الحال في اليوم الأوّل من نوفمبر، جوان، أوت، سبتمبر[2].

لم يكن اللجوء إلى هذه التفسيرات الطبيعية يهم جميع طبقات المجتمع بل اقتصر بالأساس على الطبقة العامّة من المجتمع، لأنّ الطبقة الغنية تستطيع بفضل ماتمتلكه من امكانيات مادية، وخاصة منها هيمنتها على وسائل الإنتاج أن تحقق كل أمانيها، بينما تلجأ الطبقة المعوزة إلى التفسيرات الغيبية لعلّها تحقق طموحها وأمانيها، فهي تبني لنفسها عالما مخياليا، تختزن فيه كلّ توجهاتها وتطلعاتها من خلال تحويل الظاهرة الطبيعية الواحدة إلى تعبيرات اجتماعية ترمز إلى الخوف تارة وإلى الأمل تارة

---

1 - **القادري بوتشيش**، المرجع السابق، ص117.

2 - **الطغنري**، زهرة البستان ونزهة الأذهان(مخ)، ص37- 39، نقلا عن **القادري بوتشيش**، المرجع نفسه، الملحق رقم 12، ص190، 191.

أخرى، لكن الدافع الأساسي لذلك مرتبط بالحافز المادي المتمثل في الأموال التي تعتقد الطبقة العامة أنّه يمكن الحصول عليها إذا تخلصوا من المانع[1].

ب)عوامل سياسية

في ظل الدولة المستبدة تحاول الرعية الاستعانة بالغيبيات كسبيل للتخلص من السلطة المستبدة، وهناك أمثلة عديدة تضرب في هذا الصدد في تاريخ المغرب الإسلامي، ففي سنة 501هـ "أرجف العوام بأنّه سيكون شهر رمضان خطب عظيم، وحادث كبير، وقطع على الدّولة شديد، وأنّ السلطان سيموت فيه"[2]، هذا التفسير الخرافي الغيبي لم يكن منفصلا عن الواقع السياسي والاقتصادي السائد في الفترة المذكورة، فإذا راجعنا النصوص التاريخية ندرك أنّ هذه الفترة تمثل بداية التراجع الاقتصادي والسياسي للدولة المرابطية، لذلك كان تقبل هذه الإشاعة في هذه السنة تحديدا أمرا سهلا، لأنّها كانت تعبر عن حالة قهر، ورغبة للخلاص من سلطة تمارس القهر، لذلك امتزج الواقع بالخيال معبرا عن عن مناهضة الوضع القائم[3].

ج) عوامل اجتماعية

كان انتشار الخرافات في المغرب الإسلامي كبيرا، خاصة في وسط اجتماعي يؤمن بالفكر الغيبي ايمانا واسعا، ولعل أبرز الخرافات الاجتماعية السائدة أنذاك هي الاعتقاد في أرواح الجن، لذلك نرى في أمثال العامّة مثل هذه الخرافات، حيث وردت فيها المثل التّالي: جن رحا، أسود مغبر[4]، بل أنّ الأمير عبد الله بن بلكين صاحب غرناطة الذي نفاه

1- القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص113.

2- ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: إحسان عباس، ج4، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص62.

3- البرزلي، المصدر السابق، ص40.

4- الزجالي، أمثال العوّام في الأندلس، "مستخرجة من كتاب ريّ الأوام، ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، تح وشرح ومقارنة: محمد بن شريفة، ج1، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتّعليم الأصلي، دت، ص263 مثل رقم 365.

يوسف بن تاشفين إلى أغمات أشار في مذكراته إلى مسألة الجن[1]، وفي تراجم ابن الزيات ما يكشف عن اعتقاد الرعية بوجودهم داخل المنازل نفسها[2].

تأتي الخرافات كإفراز لهواجس تشهدها حياة الناس فرديا وجماعيا، فالتخوف من الأمراض والموت يدفع الناس إلى التطلع إلى معرفة مصيره، فقد ساد الاعتقاد في فاس بوجود عين تساعد المرضى على معرفة مصيرهم، إمّا الشفاء وإمّا الموت، وذلك بإغطاس المريض في العين، فإذا ظهر دم على فمه فإنّه سيشفى، وإذا لم يظهر فإنّ ذلك يعني أنّ الموت مصيره[3].

ومن المعتقدات الخرافية ببلاد طنجة أن "عين ماء طيب يسمونه برقال، ويقال يحدث الحمق لشاربه، فهم يعيرون بذلك فيقال لمن تهافت منهم: شربت ماء برقال، لا جناح عليك"[4]، وببلاد غمارة وتحديدا بمرسى بادس كان الناس يكرمون رجلا قصير القامة مصفر اللون، واعتقدوا أنّه ينبط المياه في المواضع التي لم يعهد فيها ماء عيونا وأبارا وأنّه يخبر بقرب الماء وبعده، ولم يكن ذلك حسب البكري إلاّ باستنشاب هواء ذلك الموضع لا غير، ومن عاداتهم كذلك ألا يتركوا رجلا ذا عاهة يستقر ببلدهم بدعوى أنّه يفسد النسل[5].

د) عوامل دينية

استندت الخرافة إلى سلطان الدين لتكسب مشروعيتها، وتحظى بتأييد عامّة الناس، وهي بذلك تعبر عن عجز الإنسان عن مواجهة ظروفه السياسية والاجتماعية

---

1 - عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، د ت، ص192.

2 - ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تح: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الأداب، الرباط، 1997، ص199.

3 - الجزنائي، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ-1991م، ص28، مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، ج، الإسكندرية، المطبعة الجامعية، 1958م، ص184، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس ط2، دار صادر، بيروت 1975م، ص435.

4 - عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص396.

5 - أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت، ص102.

والاقتصادية المؤثرة فيه، لذلك كان ملجأ الناس إلى الدين ليعبروا عن حاجاتهم النفسية، و"لنذكر رسالة كتبت عن رجل من أهل قرطبة، يقال له عبد الله بن عبد الحق الصيرفي، وكان عليل الجسم، ولمّا وصلت رسالته القبر الشريف، برئ من زمانته"[1].

لم ينحصر التبرك بقبر النبي صلى الله عليه وسلم، بل امتد إلى التبرك بالصلحاء والأولياء، فقد جعلت العامّة ابن تومرت(ت524هـ/1129م) رجلا صالحا فهرعت إلى التبرك به[2]، وكان القصد من التبرك من الصلحاء إمّا رجاء في الاستشفاء، أو لقضاء أغراض دنيوية[3]، وظل التبرك بقبورهم والتماس الدعاء منهم مسألة شائعة[4]، وخاصة منهم من كان له أثر في حياة الناس، كقبر عبد الله بن ياسين(ت451هـ/1059م) الذي كان "على قبره مشهد مقصود ورابطة معمورة"[5].

هـ) عوامل تاريخية

تتدخل العوامل التاريخية لتساهم في تكريس الخرافات وسرعة تصديق العامة لها، بل حتى تبنيها، ذلك أنّ جذورها تضرب في عمق التاريخ، فقبل الفتح الاسلامي لبلاد المغرب انتشرت بين البربر ديانات وثنية ومعتقدات شعبية متنوعة طغت على فكر السكان بعضها محلي وبعضها وافد من الشرق، وظلّت تلك الترسبات القديمة كمعتقدات راسخة، تتمثل صورها في وجود أرواح الجن داخل مختلف العناصر

---

1 -ورد نص الرسالة عند أحمد بن محمد المقري، أزهار الرياض في أخبار عيّاض، ج4، ضبط وتحقيق، ابراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1308هـ/1939م ، ص29-31.

2 - البيدق: المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص42.

3 - ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص208.

4 - ابن الزيات التادلي، المصدر نفسه، ترجمة امرأة مجهولة، ص208، ترجمة أبو سهل القريشي، ينظر كذلك: ابن عبد الملك، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس، ج1، دار الثقافة، بيروت، 1973م، ج5، ق1، ص298.

5 - أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص168.

الطبيعية من عيون وأنهار وأحجار وجبال وأشجار، ولاتزال بعض القبائل تعظم هذه العناصر وتقيم لها مواسم سنوية، وتحج إليها حجا[1].

ولسكان المغرب الاسلامي اعتقاد في الخرافات تعود إلى الفترة البربرية ومنها ما يزال موجودا بمراكش ومنها ما بقي أثره بالجزائر، ومن ذلك حماية المنزل بقدر مقلوب اسفع اللون من الطباخة يوضع على الجدار، ومنها تعليق قطع الخزف بالأشجار وهو عام بكامل المغرب، وكذا تعليق انضاء الخيل، واليد المبسوطة "الخمسة"، كما كان السكان يعتقدون بوجود أرواح كالجنون مثلا في العناصر الطبيعية كالعيون والأنهار والجبال والأحجار والأشجار وغيرها، وهذا المعتقد لا يزال موجودا إلى الآن[2].

كما كانت لديهم معتقدات أيضا تتعلق بالحيوانات فالبعض منها يدعوهم للتفاؤل، والبعض الآخر يدعوهم إلى التشاؤم، فالغراب مثلا أشد ما يروعهم وتطرف به أعينهم لما ينبئ عنه اسمه من الغربة، ولروعة سواده إن كان أسود، ولاختلاف لونه إن كان أبقع وهو طليعة التشاؤم، وسبيل الخراب وإذا رأوه انزعجوا، عسى أن يصيبهم من نقص الأهل والمال، أمّا الهدهد فهو عندهم يمثل النجاح وآية اليمن وسبيل الهداية[3]، وكان صيد الحمام محرم عندهم وهذا المعتقد لا يزال في أنحاء كثيرة من المغرب، كما أنّهم كانوا يتجنبون إيذاء الحيوانات لأنّهم كانوا يعتقدون أن قتلها أو ضربها يلحق بهم أضرار كثيرة وعاهات كبرى، فضرب القط مكروه، لأنّهم يعتقدون أن من ضربه سيما في الليل يصاب بالجنون[4]، أو يغش عليه أو يصاب بداهية ما، ويعتقدون أيضا أن من يقتله يقتل على الفور بأمر خفي، ويعتقدون أيضا أنّ للقط سبعة أرواح[5]، وكذلك بالنسبة

1- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ/1968م، ص286.

2- عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر (من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي) تقديم ومراجعة أبو القاسم سعد الله، ناصر الدين سعيدوني، محمد البشير الشنيتي، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي للطباعة والنشر ، ط1، بيروت، 2003 ص، 30.

3- عبد الله عفيفي، المرجع السابق، ص 146.

4- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج1، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010م، ص 70.

5- عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص 31.

للضفادع فيعتقدون أنّ قتلها مضر، وإن أفسدت الساحة وعكرت المياه، وهذه المعتقدات من بقايا العقائد البربرية القديمة التي تزين بعضها بزي الإسلام، فالرفق بالحيوان وعدم إيذائه والإحسان إليه واجب في الإسلام، ولكن اعتقاد النفع أو الضر في أحدها لقداسته مما لا يجوز في الدين وهو من بقايا الجاهلية البربرية[1].

وكانت المرأة تتطير إذا انكفأ الإناء وصب ما فيه وتقول في العياذ من ذلك : دافق خير، وكانوا أيضا إن اشتروا دار أو بنوها أو فجروا العين ذبحوا عندها ذبيحة ودعوها ذبيحة الجن حتى لا ينالها من الشؤم شيء.كما كان للكبار اعتقاداتهم الخاصة فالصغار لديهم اعتقاداتهم كذلك فكان كل من الصبي والصبية إذا سقطت لأحدهما سن أن يأخذها بين السبابة والإبهام ويستقبل بها الشمس ويقول يا شمس أبدليني سن أحسن منها ولتجر في ظلمها اياتك ، فهناك تستسقي من ضوء الشمس فلا يكون سن أوضأ ولا أدق منها[2].

4/ تأثير الخرافات على المجتمع والأفراد

الخرافة عبارة عن أفكار وممارسات وروايات وعادات لا تستند إلى تسويغ عقلي، ولا تخضع لأي مفهوم علمي، لا على المستوى النظري ولا على المستوى التطبيقي، ومن تم فإنّها بعيدة عن المنطق وعن الموضوعية، ولا يستطيع الذي يتمتع بتفكير منطقي عال أن يعصم ذهنه من الخرافة، إذا لم يكن يملك حصيلة ووفرة من المعلومات العلمية.

إنّ الخرافة تستقي وجودها وتتعزز من مجموعة من الأوهام التي يحتفظ بها المجتمع بسبب ما عاناه من جهل وفقدان للمنهجية العلمية وبسبب التخلف السياسي والاجتماعي والاقتصادي. ومن هنا نرى أنّ السحر والشعوذة وقراءة الكف والفنجان والحيرة التي تنتاب الإنسان على حاضره ومستقبله ورزقه، أكثر من تأثير علم الشخص، والتي لديها التقدير والتشجيع للعلم وللعلماء.

1- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 70.

2- عبد الله عفيفي، المرجع السابق، ص148.

إنّ انتشار الخرافة يتسع كلما زادت درجة الجهل والقهر والتسلط والخوف وفقدان الأمان، كل هذا يورث العجز ويزرع فقدان الثقة بالنفس عند الأجيال الناشئة، وينأى بالإنسان عن البحث الموضوعي والمنهجي لمشكلاته، ممّا يجعله يلجأ إلى الخرافة بوصفها أداة سهلة لتفسير الظواهر.

للإيمان بالخرافات أثار مدمرة على الفرد والمجتمع، وقد أجمل القرآن مفاسد السحر فذكر مقدمتها الكفر بالله سبحانه، والتفريق بين المرء وزوجه، وإدخال الضرر على العباد، قالى تعالى:"وما يعلمان..." يقول القرطبي في تفسير الآية " ولا ينكر أنّ الشعوذة لها تأثير في القلوب، بالحب والبغض، وبإلقاء الشرور حتى يفرق الساحر بين المرء وزوجه، ويحول بين المرء وقلبه، وذلك بإدخال الآلام وعظيم الأسقام، وكل ذلك مدك بالمشاهدة وإنكاره معاندة.

5) الخرافات وسيلة دعائية للوصول إلى السلطة

اهتم السلاطين والأمراء بالخرافات وارتبط هذا الاهتمام إمّا بإنجاح دعوة دينية سياسية والقضاء على الدّولة القائمة، أو بغية التّعرف على المستقبل واستشرافه، فقد كان العرّافون يستشارون في الظروف الصعبة، وأحيانا كانت تتم استشارة عدد كبير منهم، برغم أنّهم كانوا لا يتفقون في الرأي. فالناس جبلت منذ القدم على سرعة تصديق كل من هب ودب، سواء انتحل نبوة أو تزعم دعوة دينية[1]، فقد نسب إلى عبد الله بن ياسين(ت451هـ/1059م) مؤسس دعوة المرابطين بجنوب المغرب الأقصى قدرته على تفجير المياه العذب من قلب الصحراء القاحلة ليشرب أنصاره[2]، كما صدّقوا حدث انقطاع نقيق الضفادع بمجرد اقترابه من إحدى البرك بمعية أنصاره[3].

وكان من الأمراء من كان على دراية بعلم الحدثان، والمثال على ذلك أنّ الأمير اسحاق بن ينتان بن عمر بن ينتان الذي شاع خبره بين الناس، ممّا جعل الأمير تاشفين

1- أحمد أمين، ظهر الاسلام، ط5، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1969، ص68.

2- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص168-169.

3- أبو عبيد البكري، المصدر نفسه، ص169، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1972م، ص133.

بن علي بن يوسف يختبر أحواله عن كثب حتى تحقق من صحة تنبؤاته[1]، ومنذ اللحظة الأولى أحاطت الدولة المرابطية نفسها بالمنجمين والكهنة، فعندما شرع يوسف بن تاشفين في بناء مراكش، أخبره المنجمون أنّه سيخوض معارك كثيرة، فاستعان ببعض السحرة لوضع العراقيل التي تحول دون معرفة العدو مصادر الماء المجلوب للمدينة، تجنبا لقطعه عنها[2].

وفي عهد علي بن يوسف كان الوزير مالك بن وهب على رأس المنجمين، وحسبنا أنّه أوّل من دق ناقوس خطر بن تومرت وتتنبأ بنهاية دولة المرابطين على يديه[3]، كما أحاط يحي بن تميم نفسه بمجموعة من المنجمين[4]، بل كان هو نفسه "عالما بالنجوم وأحكامها"[5]. وقبل سقوط الدولة المرابطية تحدث الكهان عن تحول وشيك الوقوع، وإنّ شكل السكة سيتغير من الشكل المستدير (عملة المرابطين)إلى المربع(عملة الموحدين) عندما يقع اقتران الكوكبين العلويين[6]، ونعت مالك بن وهيب المذكور ابن تومرت بأنّه صاحب هذا القران[7]

ساعدت سذاجة الناس وسرعة تصديقهم الفكر الخرافي، وترسيخ جذوره، وهذا ما يفسر سهولة استغلال المهدي بن تومرت هذه العقلية الساذجة لتمرير مخططاته، وانجاح دعوته، من ذلك اتفاقه مع عبد الله الونشريسي بأن يتظاهر بمظهر رجل أمي أبله، ويكتم ما عنده من علوم وفصاحة حتى يحين وقت الدعوة، فيظهر حقيقته دفعة واحدة ليقوم مقام المعجزة، ونجح المهدي في مسعاه وصدقه الناس"فانقاد له كل صعب

1- ابن عذارى، المصدر السابق، تح: احسان عباس، ج4، ص101.

2- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص108.

3- الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص5.

4- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج6، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، ص214، 215.

5- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تح: محمد شمّام، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، دت، ص88.

6- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، المؤسسة المصرية العامّة، القاهرة، 1985، ص191، عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص202، الناصري، المصدر السابق، ج3، ص86.

7- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص204.

القياد، عجبوا من حاله وحفظه القرآن"[1]، كما استطاع ابن تومرت(ت524هـ/1129م) أن يوهم العامة بوجود بئر تنبعث منه أصوات ملائكة شهدت بصدق "معجزة" الونشريسي[2]، ولما توفي الونشريسي في إحدى معارك المرابطين دفنه عبد المؤمن بن علي سرا، وزعم أنّ الملائكة رفعته، فانطلقت حيلته عليهم[3]. وكانت هذه الحيل تلقى قبولا خاصة لدى سكان الجبال فتذكر احد المصادر أنّ ابن تومرت أخذ قوما من اتباعه فدفنهم أحياء، وجعل لكل واحد منهم متنفسا في قبره وقال لهم إذا سئلتم فقولوا وجدنا ما وعدنا ربنا من مضاعفات الثواب على جهاد لمتونة، لكنّه كان بعد ذلك يرد عليهم تراب القبر حتى يموتوا اختناقا[4]، كما يذكر أخرى عن ابن تومرت مؤاداها أنّه صنع شجرة مجبلة وحركة مجوفة من النحاس وهي شجرة هائلة عظيمة على أغصانها طيور مصورة بهندسة وحركة تحته أن حركها ودسها خفية تكلمت الطيور على الأغصان، الذين كانوا يعتقدون أن ابن تومرت لا يأكل ولا يشرب[5] .

الخاتمة:

هذه صور من خرافات أهل المغرب التي تعكس ذهينتهم وسهولة تصديقهم لها وربطها بكل ما يتصل بحياتهم اليومية، وما يصادفهم من مشاكل وأزمات، وهذه المعتقدات لا تزال موجودة في أنحاء كثيرة من بلاد المغرب وهي متقادمة العهد وقد مرت عليها قرون ولم تتبدل، وهي تعكس مشهدا اجتماعيا يسيطر عليه الجهل، حتى وإن بذلت مجهودات جبارة من قبل العلماء والفقهاء من أجل من اجل ترسيخ مفاهيم الدين الإسلامي الصحيح التي تتنافى تعاليمه مع هذه الخرافات التي تغلغلت في أوساط المجتمع،

1- ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص48، 52.

2- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، ج24، دار الكتب العلمية، بيروت، ص284-285.

3- المصدر نفسه، ج24، ص288.

4- الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق، جعفر الناصري، محمد الناصري، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ص87.

5- البيدق، المصدر السابق، ص33.

والتي عبرت عن انحرافه بالنظر إلى أنّ الإسلام كدين قد عالج الخرافة لكنّه أخفق في الحد منها.

قائمة المصادر والمراجع

1. سورة الفلق، الآية "4".
2. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ابن أبي زرع، 1972م، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط.
3. تاريخ المغرب الكبير، محمد علي دبوز، ج1، 1984م.
4. جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، الجزنائي، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، ، 1411هـ- 1991م، المطبعة الملكية، الرباط.
5. عامّة القيروان في العصر الأغلبي"184-296هـ/800-908م"، لواتي دلال، رسالة ماجستير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2001م.
6. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، الدّباغ، تعليق: أبو الفضل القاسم عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضي، ج2، 1972م، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.
7. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج6، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت.
8. فتاوي ابن رشد، **ابن رشد**، تح: المختار بن طاهر التليلي، 1407هـ/1987م، دار الغرب الاسلامي، بيروت.
9. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، السلاوي الناصري، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، محمد الناصري، ج3، 1954م، دار الكتاب، الدار البيضاء.
10. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى، تح:ج-س-كولان وأ-ليفي بروفنسال، ج4، ط2، 1980م، دار الثقافة، بيروت.
11. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى، تحقيق ومراجعة: إحسان عباس، ج4، ط3، 1983م، دار الثقافة، بيروت.
12. التشوف إلى رجال التصوف، ابن الزيات التادلي، تح: أحمد التوفيق، ط2، 1997م، منشورات كلية الأداب، الرباط.

13. الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري عبد المنعم، تح: إحسان عباس ط2، 1975م، دار صادر، بيروت.
14. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون عبد الرحمن، ضبط ومراجعة: خليل شحادة، سهيل زكار، ج3، 2000م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت .
15. المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، أبو عبيد البكري، د ت، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
16. المغرب والأندلس في عصر المرابطين، بوتشيش القادري، المجتمع، الذهنيات، الأولياء ، دت، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
17. المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، البيدق، تح: عبد الوهاب بن منصور، ، 1971م، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط.
18. المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ابن أبي دينار، تح: محمد شمّام، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، دت.
19. أمثال العوّام في الأندلس، "مستخرجة من كتاب ريّ الأوام، ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، الزجالي، تح وشرح ومقارنة: محمد بن شريفة، ج1، دت، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتّعليم الأصلي.
20. بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ابن خلدون يحي، تقديم وتحقيق: تح: عبد الحميد حاجيات، ج1، ، 1985م، المكتبة الوطنية، الجزائر.
21. تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، الزركشي، تح: محمد ماضود، 1966م، المكتبة العتيقة، تونس.
22. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، عياض القاضي، تح: محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط.
23. الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)، جودت عبد الكريم يوسف، 1992م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
24. وصف افريقيا، الوزان حسن ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ، 1980م، الشركة المغربية لدور النشر، الرباط.

25.رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، 1977م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
26.صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، ج5، 1985م، المؤسسة المصرية العامّة، القاهرة.
27.ظهر الاسلام، أحمد أمين، ط5، ج3، 1969م، دار الكتب العلمية، بيروت.
28.عبد الله عفيفي، المرأة العربية في جاهليتها و إسلامها، دار الرائد العربي، ط2، 1982م، بيروت، لبنان.
29.عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج1، ، 1388ه/1968م، المطبعة الملكية، الرباط.
30.عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر (من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي) تقديم ومراجعة أبو القاسم سعد الله، ناصر الدين سعيدوني، محمد البشير الشنيتي، إبراهيم بحاز ط1، 2003م، دار الغرب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت.
31.كتاب التبيان، عبد الله بن بلكين، تح : ليفي بروفنسال، د ت، دار المعارف، مصر.
32.لسان العرب، ابن منظور، ط1، م10، 1990م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
33.مقدمة ابن خلدون، ضبط: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، ابن خلدون عبد الرحمان، 2001م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
34.نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، النويري، ج24، سنة النشر، دار الكتب العلمية، بيروت.
35.أزهار الرياض في أخبار عيّاض، أحمد بن محمد المقري، ج4، ضبط وتحقيق، ابراهيم الأبياري، ، 1308ه/1939م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
36.الاستبصار في عجائب الأمصار، مؤلف مجهول، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، 1958م، الإسكندرية، المطبعة الجامعية.
37.جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، البرزلي، تح: محمد الحبيب الهيلة، ج1، ط1، ، 2002م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
38.الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ابن عبد الملك، تح: إحسان عباس، ج1، 1973م، دار الثقافة، بيروت، ج5، ق1.